الكتاب الجديد

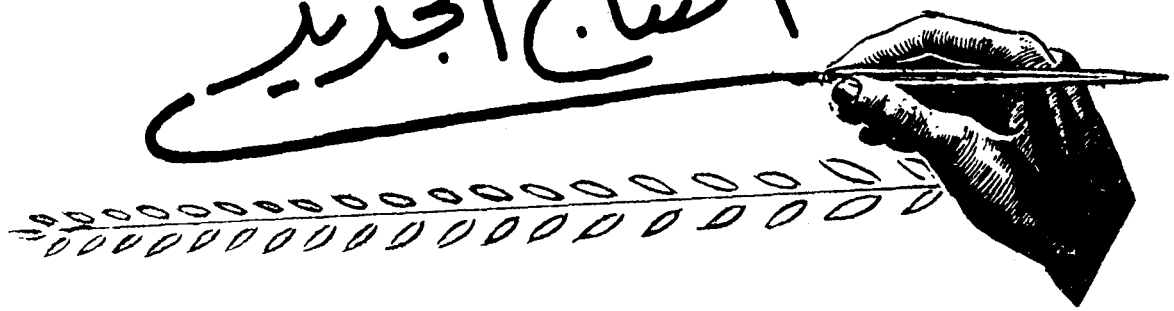

المهزومون

رواية بقلم هاني الراهب

منشورات دار الآداب ـ بيروت ـ ٣٠٦ ص.

لقد كتب هاني الراهب رواية ألم فيها بالحب والموت والصداقة والمثل واحلام المراهقة وتحديات المجتمع .. وتلك موضوعات ادبية يصلح للروائي تناولها وعرض تجربته من خلالها .. ان اسم هاني الراهب لم يتردد كثيرا على اسماع القراء ، واذا اردنا الحق قلنا انه لم يتردد ابد ، لقد بزغ فجاة بدوي صارخ وانقض ملتمعا كأنه شهاب، حين قدم روايته هذه لنيل جائزة « الآداب » ففاز بها . وهذه الرواية تدور حول الوسط الجامعي ومسرحهـا الجامعة : المكتبة والمقصف والنادي والصف وابطالها طالبات وطلاب جامعة . الافكار تحمل طابعا مثاليا تفوح منه رائحة المراهقة وطفرات الشباب . ان الحياة الجامعية حلوة حرة طليقة مليئة بالآمال والاحلام والنزوات .. وقد استطاع الكاتب ان يحمل الحروف نداوة حديقة الجامعة وتلاوينها الزاهية ، اما الكلمات فهي دافئة طرية فكأنها تمتمات على شفاه عذراء ، وان اردنا الاسلوب فلا نملك لوصفه نعتا خيرا من القول بانه نابض شديد الخفقان ، وهذه العناصر كلها تتآزر لتمنح الكاتب قدرة على التقاط حركات الابطال . انهم يسيرون داخل الرواية بسرعة طبيعية ، بل يتسارع تتصف به حياة الشبان ، وهذا الاحساس بحركة الناس ضمن المكان ودقة الملاحظة بتغير الاطار والتمكن من تثبت اللحظة الهاربة واللمحة الخاطفة . كل ذلك يجعل في الرواية حيوية الشباب ونضارة الصبا ويقرب الرواية من روح التجربة ويرفعها الى مستوى المعاناة الحياتية.

يبدا القارىء بمنظر بشر وهو يستيقظ متاخرا ويراقب جارته ثريا وهي زوجة لحلاق فظ يضربها ويهينها دائما ، ظل بشر يراقبها حتى استطاع ان يجر معها حديثا وصداقة تتطور من خلال الرواية والاحداث حتى تحمل منه .. لكن بشرا لا يكتفي بثريا .. بل من المؤسف ان هذه العلاقة المليئة بالانسانية والعطف هي علاقة ثانوية لا تحتل في حياة بشر الا جانبا ضئيلا لم يكن هو نفسه ليابه له : لقد كان بشر يحب زميلة له في الصف وهذا الحب هو عقدة العقد ، فسحاب مطلقة وذات سمعة تجعل سيرتها موضع نقاش واخذ ورد بين اهله واصدقائه .. ان ثريا تمثل الفطرة السوية ، لكنها مظلومة في حياتها، اما سحاب فهي المراة المتعلمة والمراة المطلقة ، بكل ما تحمل هاتان السمتان لصاحبتهما من عقد واحاسيس ، وسحاب تحتل الصدارة في قلب بشر ، وفي عقله ايضا ، لانه هو الريفي الثائر على رواسبه يرى في حبه لفتاة متحررة جدا مثل سحاب رمزا يتحدى به نفسه ومجتمعه .. وعلاقته بها تتطور من زمالة الى اشتهاء الى حب الى مشروع خطبة يثور لها اصدقاء بشر واهله لكنه يظل عاقدا عزمه على الزواج حتى تذهب سحاب في رحلة الى مصر وتعود مع اشاعة جديدة حول علاقتها بقبطان الباخرة .. هنا تستيقظ رواسبه فيكبحها ويستمر في جمع المال عن طريق العمل في الصحافة لكي يستطيع ان يتزوج منها لكنها في النهاية تذهب معه الى غرفته وتقول له « حاولت جاهدة ان اقتصر عليك .. لكنني كلما التقيت بشخص يشعرني بانه رجل كان يقيدني .. » كان جسدها فوق ارادتها ، ولقد حاولت ان تستسلم لبشر في تلك الآونة فلم يمتلكها ، وهذا التصرف يؤكد طابع المراهقة في الرواية جميعها ، لقد خلق بشر من سحاب حبيبا سماويا، وحين ابصرها في التراب عجز عن التصرف الناضج ، ولعل اجمل صورة للعلاقة بين شباب يتلمسون طريقهم الى الحياة دون ان يملكوا الجزم بالحكم على طبيعة الاشياء ، هي صورة العلاقة بين بشر وبين واحة .. ولكي نشرحها بكل جزئياتها يجب ان نذكر ان ابطال القصة هم من الطلاب الغرباء الذين يفدون الى الجامعة ليدرسوا ، وغالبا ما يؤلف ابناء المحافظة الواحدة مجتمعا خاصا بهم . ومعظم الابطال هم من محافظة اللاذقية ، فالمعرفة بينهم ليست جديدة ، فضلا عن ان الغربة تشدهم الى بعضهم بعض .. لذلك نرى الاسرار متبادلة بينهم ففائز يحب واحة ، وبشر صديق الطرفين . لكن الاحداث تكشف عن تعلق واحة ببشر وقبول بشر لهذا الميل وتشجيعه مع احتفاظه بعشقه لسحاب .. وفي الوقت الذي يكتشف حقيقة سحاب وينتازل عن رغبته بها ويشتد ولعه بواحة لكن واحة ترقد على سرير في المستشفى لتموت بتدرن الرئة .. وموتها رمز لانعدام الحب والبراءة ، اما بقاء الطفل في رحم ثريا فانه يرمز الى استمرار الحياة وتأصل الخطيئة فيها ، والهزيمة تتجلى في موقف بشر ، فهو لا يظفر من سحاب لا بالحب ولا بالجسد ، كما انه عاجز امام حبل ثريا وموت واحة .

هذه هي الخطوط والشخصيات الرئيسية في الرواية . هناك طبعا افراد آخرون ، لكنهم لا يحفرون دربهم في وجدان البطل وانما ينزلقون مع احداث الحياة اليومية والمناظرات التي تدور بين الاصدقاء .. والهزائم التي لحقت بهم ليست اكثر من صدمات خفيفة لا تتجاوز شغاف القلب . وكان يمكن ان تسقط الرواية الى مستوى الميلودرام المجوج لولا موهبة الكاتب التي تتجلى بالحساسية والتوفر ودقة الملاحظة وسرعة الالتقاط . يخرج من فم شاب لم يذق طعم المرارة بل لمح اطيافا من الاحداث خيل له انها مصائب كيانية قد تغير تاريخ العالم ، ان المبالغة وتضخم الاحساس بالذات من صفات المراهقة ، والحركة الخفية في الرواية تأتي من رعونة الشباب : سكرهم ، مناقشاتهم ، آمالهم . وقد زادت الحركة عن حدها فجرفت الشخصيات في تيارها . ان المراهق عاطفي سريع التنقل .. ومن هنا لا نحس بثقل وزن الابطال على مسرح الحياة .. انهم خفيفون سريعو المبادرة وسريعو الانقياد . متحمسون دون ان يعوا ما حولهم حق الوعي وهذا ما جعل صفة الحركة في الرواية تتارجح بين كونها ميزة

حسنة او ميزة سيئة . ان جذورا واهية تربط مشاكل هؤلاء الشبان بمشاكل مجتمعهم ، وقد حاول الكاتب أن يعمق الصلة بين الازمة الفردية والازمة الاجتماعية فلم يفلح . حاول مرتين : في الاولى عن طريق تصرفات سحاب وفي الثانية عن طريق محاولته التطوع في الثورة التي نشبت في احد الاقطار العربية .. لكن الطريقين اوصلاه الى جدار قطع عليه محاولته .

ان الحوار موفق في اغلب الاحيان ، لكنه يفشل في المواقف الحاسمة .. ذلك لان بعض الشخصيات لا تتعلق بمنطق الخلق الفني وانما تخضع لتصور ذهني مسبق . والحق اقول اني اصبت بخيبة امل حين كشف بشر شخصية سحاب بهذه اللهجة المباشرة ، لقد إعلن حقيقتها على لسانها وبكلام يشبه المحاضرة ، ان سحاب لا تبدو الا من خلال اعجابه بها وحديثه عنها ، وفي اللحظة التي تحضر بها الى المسرح يفشل الكاتب في اثبات حضورها ، وهذا ما يجعلها احيانا تتكلم وكانها عباس العقاد وليست زوجة حلاق ، كقولها : « انت ثاني رجل احتك به قريبة منه . وقد لا ندعو الاول رجلا فانا لا اعرف معه معنى الرجولة ، كان دائما .. يغتصبني » .

واخيرا يجب ان نقرر ان الرواية تنقل قطاعا من الحياة باسلوب حي متدفق ، لكنها لم تصل الى مستوى ان تطرح قضية او تجيب على قضية . كل ما فيها انها احتكت بالمشاكل احتكاكا سريعا مثلما لمس ابطالها الوقائع ومروا مرور الكرام .

محي الدين صبحي

من الاعماق

شعر محمد راضي جعفر

١٣٨ ص. من القطع المتوسط ـ مطبعة (؟)

ان تعبير الشاعر الفرنسي بيير جان جوف الذي جاء في احدى يومياته التي اصدرها بعنوان « في المرآة » يصح ان يطلق على صاحب هذه المجموعة ، الاخ محمد راضي جعفر . فهو على حد تعبير جوف ، شاعر يكتب بدمه ، ولم لا والاخ جعفر من الشعراء الشباب الذين تمردوا على واقعهم وكفروا به لتآكله وفساده ، كفروا به في ثورة معربدة وعنف لاهب !

ان « من الاعماق » هو باكورة انتاج الشاعر ، وقد اهداه الى « الحناجر التي تصوغ نشيد الفجر ، الى الثوار العرب في كل مكان ».

ضم الديوان بضعا وثلاثين قصيدة يتنقل قارئها بين : ١ ـ رهافة الشعور وعذوبته . ٢ ـ ظلال « سليمانية » تتكاثف احيانا حتى يغدو شعره صدى باردا لشعر العيسى . ٣ ـ ايمان بماضي الامه العربية الغابرة وتمنيات حاره في ان يكون المستقبل صورة صادقة له

٤ ـ تقريرية في الاسلوب وتحجر في الخيال . ٥ ـ عاطفة وديعة وآهات مسهدة من اجل حب رضيع خلته مات قبل ان ينتشق الشاعر عطره الشهي. ٦ ـ حقد راعف على اعداء الامة العربية من مستعمرين وعملاء وشعوبيين .

ان الاخ جعفر ذا نفسية غنية وقلب كبير وروح منطلقة في اجواء ليس لها اخر ، بيد انه تعجل كثيرا في طبع ما تجيش به اعماقه من خواطر وعواطف وآهات ، فجاء اكثرها لا يستطيع التحليق في اجواء الفن السامقة لانه كسير الجناح فاتر الروح لابتلائه بآفات التقريرية والجمود ، ولو انه تمهل قليلا لطلع علينا بباكوره تضم شعرا حيا لان بعض تباشيره ظهرت فيقصائد الشاعر المتاخرة التي ضمت بعضها هذه المجموعة !

ان اجمل ما في (من الاعماق) تلك الترانيم الحلوه التياستعار ايقاعاتها النديفة من اصداء قيثار سليمان العيسى الخضراء .. انها انغام علويه عزفتها رهافة الشعور وعذوبته وغنى العاطفة وحدتها .

ففي (آن أن تحصد الجراح) تتعانق حدة العاطفة وعذوبة الشعور لتولد نغما ينساب في رفق وحلاوه كانه بسمة من ينبوع :

اينع النور فانهلي يا ظماء	وتروي من نبعه يا سمآءُ
واهدئي يا جراح فالثار حي	زاخر النبض راعش وضاء
موكب النصر اي حقد عريق	الهبته زنودك السمراء
اي درب قطعت والشوك مدم	وخطانا تنوشها الرمضاء
اي درب صبغته ارجوانا	ركمت فوقه تصلي الدماء

الا ما اجمل هذه الترتيلة الطافحة بالامل والكبرياء .. وما انضح « اينع النور » و « اهدئي يا جراح » وما اجمل صلاة تلك الدماء النفاره على درب امتنا المفروش بالضحايا !..

وفي « الى الشهيد » المهداة الى روح الشهيد عدنان المالكي بعد مرور خمسة اعوام على استشهاده ، نرى ان وميض الرعشات العاطفية يتقد بعنف طافح بالالم والعذابات ، بيد ان ظلال « سليمان العيسى » تجعلنا لا نصفق للشاعر بحراره لان سنى شخصيته يخبو امام تلك التلاوين الثرة الطافحة بازهار الخلود في شعر العيسى :

رن في مسمعي الكليل نداء	وسرت في رعشة رعناء
واطلت رؤى غفت منذ حين	يا لشعري فتية خضراء (١)

*

لقد اغتيل فارس الساح غدرا	كيف بالله ناله الجبناء
كيف يخبو لهيب نار كفاحي	او يسطيع ذلك الاعداء
يا سعير الايمان كيف تلظى	في دمانا وما له اطفاء
رزئت فيك امتي اي رزء	فاستهلت دموعها الصحراء

ولعل اجمل قصيدتين في المجموعة هما « لنا الغد » و « اغنية نصر » وهذه الاخيرة تجسد لنا بصفاء نفسية الشاعر الثائر التي ما عرفت الحياة الا فصولا دامية تصطف على جنباتها امواج النضال المعربدة .. انه ابدا يحن الى لهيب الساح واواره .. وان مرارة جرحه الثاغر لما تزل فوق فمه .. انه يرتعش لها ، يحياها ومضة للغد الباسم .. غد الوحدة والحرية والعدالة ، اعجبني في القصيدة هذه الابيات :

سكرة النصر فوق كل جراح	فاديري لنا كؤوس الراح
طالما ضج بي لكاسي حنين	كحنين الى اوار الساح
الهبيني نارا تفجر شعري	انا من طاب عيشه بالجراح
لم تزل في فمي مرارة جرحي	عشتها ومضة الغد الوضاح

اما قصيدته « تربة الاجداد » التي اراد ان يحاكي بها قصيدة سليمان العيسى « انشودة العودة » وقصيدته « اللواء المنكس » التي ترسم بها خطى الاخطل الصغير ، فما اظنه وفق فيهما ، اذ لا عطاء جديد ولا صورة شعرية جميلة ، بل تقليد وتقريريه وجمود وركض وراء القافية ، ولعل هذه الظاهرة الشرسة للقارىء اكثر فاكثر اذا ما قرأ الشعر العاطفي في المجموعة ، حتى ليتراءى له ان الشاعر ما خلق لينظم غزلا فيه رقة وعذوبة وانسيابا ، انما خلق ليهدر شعرا كفاحيا يزلزل به اغوار الطامعين والاذناب من اعداء امته التي ادمى حافر مهرها جبين الكواكب والاقمار !..

ففي « نار ونار » التي يناجي بها حبيبته العابثة « سعاد » نرى سذاجة الخواطر وانعدام الصور وابتذال الالفاظ حتى ليحس القاريء ان شاعره شارف على الموت الفني او كاد :

يصونك الرحمن رب العباد	من اعين الشر وعين الفساد
حباك جل شأنه آية	في الحسن تسمو بك فوق العباد

*

هذا يجنب القلب صك الهوى	ينتظر التوقيع صك الوداد
فامتثلي يا غادتي واقبلي	نوقع الصك معا باتحاد

الا ما اقبح كلمة « صك » ان الفاظ القصيدة لا رواء فيها

---

(١) في رأيي ان كلمة (فتيه) هنا من حشو القول ، بدليل ان (الخضره) تعبر عن الفتوة والشباب ولو قال الشاعر « نديه خضراء » لحسن المعنى .

ولا عطر .. مع أن القصيدة كما يقول ـ مالارميه ـ « بناء حي من الالفاظ بيد ان لفظة واحدة ـ في غير مكانهـا ـ كافية لان تقتل القصيدة كلها ! »

كما ان موسيقاهـا تشكو التعثر احيـانا .. فهو لم يستطع استغـلال « السريع » هذا البحر المشحون بشلالات بارعة الرذاذ من الموسيقى الثره !

اما القصائد الغزلية الاخرى « نجوى ، رسالة اليها ، ماجدولين، اخرى ، زله » فلم ار فيها طريفا يثيرني ، او الفاظـا جميلة تجرح مسارب صمتي ، او صوره حية تأخذ بلبي ، انما هي خواطر عاديه صيغت بالفاظ تشكو السأم القاتل والفراغ الجريح .

ومن قصائد الديوان التقريرية قصيدة « ذكريات » وهو لو لـم يضمها الى المجموعة لكان اوقع واحلى ، بيد ان الاخ الشاعر كان على ما يبدو وقد دفع كل ما في حوزته من شعر الى المطبعة فأعاد مأساة الكثيرين من الشعراء والكتاب الذين نراهم يتألمون بقسوة عندما يعانق خيالهم خواطر الماضي واحداثه ، انهم يبكون ما فاتهم من سنين كانوا قد تعجلوا بها فجرفهم التيار الصاخب نحو السراب البلقع ، نحو الهاوية الرهيبة .

والان لنر كيف ان جبين الشـاعر يلامس التراب في ذكرياته الدامية يوم كان الظلام يعربد باوصاله :

اخي والذكريـات لهـا ضـرام اخي والعين بعـدك لا تنـام
اخي والبين شف الجسم شفـا اخي والقلب شوقـا مستهام
اخـي والعـود يشجيني بليلي باوتـار تملكهـا السقـام !

*

وقد ادمى عـذاب البين روحي وقـد وهنت ضلوعي والفطـام
فتـأتيني ورأس ابيـك يـوم ويومي مـن عذاب البين عـام
الا فالصبر ـ يـا ويلي ـ دوائي والا فالحمـام لي الختـام

ابتذال في الالفاظ وجمود في الخيال ، وموت عاطفي ملحوظ وسطحية باردة ، اننا نريد شعرا تعبق من جنباته الطراوة والدفء وصدق الاداء وقوة التعبير وعمق الصور ، هذه مقومات الشعر الجيد فان خلا منها اصبح شعرا سرابيا يرقد في احضانه الجدب والمحولة والاجترار .

ومن صور الموت الشعري الاخرى قوله :

ثـم تنكب ملـوك وامـارات وصيـد
وكذا شـأن شعوب الكـون للظلـم تبيد (٢)

او قولـه :

يا جيش امـة العـرب يا مريض الصيد النجب
يـا قاصمـا ظهـر بغـاة القوم اعـداء الشعب
يـا فتيـة يخشى العـدى لقـاءهـا ويجتنـب

*

تحيـة الـى رجـال فيـك قـد نالوا الرتـب
الى الاشـاوس الالى قـد ركبوا البحر اللجب (٣) ـ

او قولـه :

شعبـك الصعب المـراس لم يعد بعـد يقـاسي
شـاء بالامس انطلاقـا وبـلادا ذات بـاس
ويشـاء اليـوم امـرا فيـه توطيـد الاسـاس
اتبـع الذيـل الـذي بـدده الشعـب بـراس
واسحق الدور الذي قـد عـاث في الحقل السياسي (٤)

ان هذه النماذج ـ ومثلها كثير في المجموعة ـ ابعد ما تكون عن الشعر .. انها « احداث هزيلة » من كلام موزون مقفى او قل هـي نظم جاف امات الناحية الجمالية للشعر فكان على الشـاعر ان لا يخرجه للملأ القارىء فتلك خطيئة فادحـة ستظل تلاحقه كالحقيقة السوداء ككؤوس الشقاء التي ملأهـا بيده وظل يعب منها دهاقـا بلا عـدد .

هذه خواطر نقدية مبتسرة قفزت الى خيالي اثناء قراءتي للمجموعة املاها تذوقي الخاص للشعر الحي .. انني ارى ان اهم مقومـات الشعر الجيد الصورة المعمقة والخيال المجنح ووضوح العبـارة مع الاهتمام بجزالة الالفاظ وتسلسل الفكرة وكثرة المعاني المبتكرة !..

والملاحظ ان خواطري النقدية قد انصبت على نقطتين هامتين من النقاط الست التي ذكرتها في صدر هذه المقاله هاتان النقطتان هما : « الظلال السليمانية » التي نهل من اجفانها صاحب المجموعة ما شاءه الخيال ان ينهل ، والثانية ـ وقد اطلت فيها عامدا ـ هي الابتذال في الالفاظ والتقريريه في الاسلوب والتحجر في الخيـال ، اما الظواهر الاخرى فهي موضوعية بحته ولا علاقة لها بالرعشـات الفنية للقصيدة لذا فقد احببت ان لا اشير اليها بشيء لوضوحهـا وسهولة تناولها .

واخيرا اود ان اذكر هنا انني من الذين يؤمنون ايمانا معمقا بقول الناقد الامريكي « كارلوس بيكر » الذي يرى « ان مهمة الناقد .. ان يفهم موقف الفنان قدر المستطاع وليست مهمته ان يشهر بالفنان مزدريا او يتهمه بالفش والتصنع .. بل الحق ان مهمته هي ان يميز عناصر النجاح من عناصر الاخفاق وان يكشف عن العلة في كل منها وان يقيد كل تجربة فنية او غير فنية نجمت في تلك الفترة » .

وفي الختام لا يسعني الا ان اعتذر لصديقي الشاعر ان كنت قد قسوت عليه فلقد عهدته اخا فيه طيبة ووداعة واخلاص ، ولا انكر انه يحمل بذور شاعرية خصبة معطاءه اتمنى لها المزيد من التقـدم والاستمرار ، وعسانا نلمس اشياء فيها جدة وثراء في مجموعته المقبلة.

تحياتي العربية الصافية للشاعر مع محبتي وتقديري ..

البصرة ـ العراق **مزيد الظاهر**

(٢) « ذكرى وثبة كانون » ص ٩٢ « الديوان » .
(٣) « يا جيش امة العرب » ص ٨٠
(٤) « توطيد الاسـاس » ص٦٢ .

دار الاداب تقدم

سلسلة الجوائز العالمية

أروع الروايات التي فازت بجوائز عالمية وترجمت الى عدة لغات ، ولا غنى للقارىء العربي ، اذا اراد ان يستكمل ثقافته الادبية ، من الاطلاع عليها .

ويسر «دار الاداب» في بيروت ان تضطلع بهـذه المهمة ، فتقدم قريبا جدا ، وبالتتالي ، حلقات هـذه السلسلة ،مترجمة الى العربية ترجمة دقيقة اميـنة باخراج انيق .

ترقبوا الاعـلان عنها
في اعدادنا القادمة